تصدير الكتاب الرابع

لم يكن فضاء الأمة الإسلامية الرحب ليقتصر فقط على ذلك الدور المشهود للسياسات الرسمية في جنبات قرن مفعم بالحيوية والإحياء. ففي مقابل التحديات الكبرى التي تداعت علي الأمة كان من المحتم انبثاق أنماط جديدة من الفواعل والتفاعلات التي تمخض جانب منها عن معترك أحداث القرن، علي حين انطلق قسم آخر من الماضي محاولاً كسر أطواق التقليد والتجميد العتيقة؛ سعيًا للاضطلاع بدور ما في إعادة ترتيب البيت الإسلامي، سواء على صعيد العلاقة مع الدخيل الاستعماري خلال الشطر الأول للقرن العشرين أو على صعيد التعاطي مع الوريث الوطني والقضايا المثارة عبر الشطر الثاني للقرن نفسه.

حقًا، لقد تنوعت أشكال استجابات هذى الفواعل –سواء في خبرة الحركات الإسلامية أو جمعيات العمل الأهلي أو المؤسسات المسيسة والمتسيسة– إزاء نفس التحدي، فضلًا عن ردود أفعالها المتباينة إزاء التحديات المختلفة. فعلى سبيل المثال، واجهت التحدي الاستعماري خلال النصف الأول للقرن العشرين استجابات غير متجانسة من قبل الداخل الإسلامي، تراوحت بين سبل الكفاح المسلح وطرائق إعادة التأهيل (التربوي) الممتد للأمة، مارة بمسلكيات النضال السياسي والعمل الاجتماعي وخلافه.

ومما هو جدير بالإشارة إليه، أن ما تبدى –أحيانًا– من صورة تكاملية لهذا التنوع المذكور لم يحل دون دوام إشكالية الاستغراق في معالجة الاستعمار– الحادث، والانصراف عن ضرورة مقاومة داء "القابلية للاستعمار" كما طرحها مالك بن نبي.

إن تسلم الوريث الوطني لزمام الأمور مع مطلع النصف الثاني من القرن العشرين أحدث تحولًا نوعيًا بلا شك، إلا أن امتدادًا ملحوظًا للتحديات راكم من إشكاليات القرن وعمق من تساؤلات كبرى حول: ديالكتيك الاستمرارية- التحول، الامتداد- الاستجداد، الوظيفة- التوظيف، الأمة الكيان المتوحد- الأمة الأجزاء المتفردة، مع ما يفرزه ذلك من تداخل الأواصر والدوائر وتماهي علاقات الداخل- الخارج... إلخ، الأمر الذي يجدد الهموم والاستفهامات مع مطلع القرن الحادي والعشرين حول إمكانية إنتاج مشروع حضاري متكامل يقدم آليات الإجابة والاستجابة المستديمة ولا يقف عند حد المواجهة اللحظية للمواقف الطارئة.

أسرة التحرير